

SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد3 ، العدد 3، تموز، يوليو 2017م.

e-ISSN: 2289-9065

FOUNDATIONS AND MODELS OF QURANIC STABILITY IN THE PREACHER AND WEAKNESS: A VISION IN THE ERA OF GLOBALIZATION

أسس ونماذج قرآنية فى ثبات الداعية وضعفه: رؤية فى عصر العولمة

أبوبكر ثانى حسين

د/ أشرف محمد زيدان الدليمي

د/ فخر الأدبي بن عبد القادر

قسم الدعوة والتنمية البشرية – أكاديمية الدراسات الإسلامية،

جامعة ملايا – كوالالمبور

aftuni4real2005@gmail.com

1438هـ – 2017م



ARTICLE INFO
Article history:
Received 10/5/2017
Received in revised form 27/5/2017
Accepted 17/6/2017
Available online 15/7/2017

Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

The paper discuss about the standing conduct and morality of the preacher from the Qur'anic perspective in the era of globalization, and the factors of standing conduct and morality of the preacher in the era of globalization under the Qur'anic theory. And the exploration of the Quran about the reasons of weakness in conduct and morality of the preacher in the era of globalization, where it was gives examples from Quran on the standing conduct and morality of the prophets, and highlighting on the factors that help preacher to succeed in era of the winds of globalization. The paper also concerned about the spreading of globalization by the international community through conferences and international conventions and declarations, where the paper gives examples of those conferences, conventions and declarations aimed to spread globalization, and the destroy the light of Islam. The paper touched how to deal with the globalization, and the most important examples that can help preacher, especially in front of the challenges of globalization. The paper shows that not whole the globalization are minuses, it can be are pluses which may benefit the preacher, in his working of the preaching.



الملخص

نستعرض فيها المشكلات التي يواجها الداعية في عصر العولمة، وقد تؤدي هذه المشكلات إلى عدم ثباته، واستقرار في دعوته، وخاصة في هذا الوقت العصيب الذي كثر فيه المعاصي، ،والملاهي والزواهي، حتى ضلّ فيه كثير من الدعاة. وقد يكون ذلك امتحان من الله تبارك تعالى ليمتحن المؤمنين في ثباتهم.

إن الداعية قد يمر في هذا العصر بتحديات كثيرة، تجعل الداعية يضعف في الثوابت التي تعينه في سير مهمة دعوته، وقد يكون السبب في ذلك هو إثر التطورات السريعة في وسائل الإعلام المتنوعة، والانتشار الفضيع لوسائل التواصل الفردية والاجتماعية الحديثة المتمثلة في عصر العولمة، وهذا ما يجعل الداعية ملزما من جعل تلك الأشياء في ميزان القرآن، رؤية عصرية في المنظور القرآني، حيث نجد من وراء الستار أيد خفية تلعب بعقول الناس وتحاول استدراجهم إلى ما قد لا تدركه عقولهم الضعيفة أو ثقافتهم المحدودة، ومن بين ما ابتلي به الدعاة في واقعنا المعاش ما يعرف بمصطلح العولمة، بعيداً عن نظرة القرآن لهذا التطورات الرهنة.



مقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.أما بعد؛

فإن قواعد الإسلام وأصوله وكلياته لا تتغير، والذي يتغير هو أسلوب الدعوة إليه، فكتاب الله خير دليل في تغيير الأساليب لما وجد فيه من مكي ومدني، والواقع أن الداعية بحاجة إلى ترشيد حتى لا يقع فريسة لتلك التغيرات في هذا العصر. فإن الدعاة إلى الله عز وجل هم ورثة الأنبياء في الأمور الدعوة التي أثقلت كاهل الأنبياء في العصور الغابرة فساهموا في تأسيسها؛ وقاموا بها خير قيام، حتى وصلت إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فواصل البناء من حيث انتهى إليه الأنبياء قبله، وأخرج لنا الدين كاملا من غير أن يعتريه النقصان. وفي الآونة الأخيرة يلبس الدعاة ثوبا مغايرا، وطابعا مختلفا في طريقهم للتعامل مع الواقع الحالي. والثبات هو عمود الدعوة، وذروة سنامها للداعي؛ بحيث لا تزعزعه عواصف الأفكار وتبعات الباطل الذي تسعى إليه العولمة في مجتمعاتنا، فشاهدنا الفساد الأخلاقي وما زلنا نشاهده، فثبات الداعية ورسوخ قدميه في مجال الدعوة من دون الميل لدعاة العولمة وناصرين لها هو الذي يعود للأمة الإسلامية مجدها المؤثل الذي كاد أن يغيب مع أدراج رياح الأفكار التي تدعو إليها العولمة. ولكن، لا بد من وضع كل المفاهيم والمبادئ في ميزان القرآن ونظرته الشاملة، وبلورة تعاليمه بما ينسجم مع الواقع، وبه يستقر الثبات للوصول إلى النجاح.

فاالقرآن صالح لكل زمان ومكان، وينسجم مع مستجدات العصر وتطوراتها، وهو طريق الإسلام ومنهج أصيل لمن يرغب في التمسك به لتحقيق النجاح في حياة الدنيا والآخرة، فالله تبارك وتعالى أنزل القرآن ليكون مرجعا أساسيا لبناء الحياة السعيدة، وهو مرجعا أصيلا لكل داعية يرجو النجاح. إن الداعية قد يمر في هذا العصر بتحديات كثيرة، تجعل الداعية يضعف في الثوابت التي تعينه في سير مهمة دعوته، وقد يكون السبب في ذلك هو التطورات السريعة في وسائل الإعلام المتنوعة، والانتشار الفظيع لوسائل التواصل الفردية والاجتماعية الحديثة المتمثلة في عصر العولمة، وهذا ما يلزم بعض الدعاة أن يعدّوا تلك الأشياء في ميزان القرآن، حيث نجد من وراء الستار أيد خفية تلعب بعقول الناس وتحاول استدراجهم إلى ما قد لا تدركه عقولهم الضعيفة أو ثقافتهم المحدودة، ومن بين ما ابتلي به بعض الدعاة في واقعنا المعاش ما يعرف بمصطلح العولمة، بعيداً عن نظرة القرآن لهذا التطورات الرهنة. فقد لوحظ كذلك تأثر المجتمعات الإسلامية في مختلف المجالات بهذه الظاهرة، (ظاهرة العولمة)، من أسباب ضعف ثبات الداعية أمام هذا العصر، وانتشار



آثار العولمة الخطيرة السلبية في الداعية، وأن انتشار وسائل الإعلام بمختلف أشكالها، واستهداف ثقافة المسلم سواء الداعية أو المدعو بغرض إيقاعه في شراك ما يسمى بالعولمة، حيث يتعرض الإسلام بشكل عام لظاهرة خطيرة المنتشرة في العالم أجمع، والتي ينجم عنها الكثير من الانعكاسات الخطيرة السلبية في مختلف المجالات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية، في المجتمعات الإسلامية. ومن منظور قرآني فهل توجد آثار إيجابية يمكن للداعية الثابت الاستفادة منها؟ وخاصة من خلال تعامله الصائب مع ظاهرة العولمة في حال ثباته؟ وماهي الأسباب التي تؤدي إلى قوة وضعف ثبات الداعية إلى الله عز وجلفي عصر العولمة؟ وذلك من منظور قرآني؟

فهل توجد آليات مستخدمة من قبل قوى العولمة هدفا لفرضها ونشرها؛ وما هي الآليات والوسائل التي يمكن للداعية الاعتماد عليها في محن عصر العولمة فيواقعالدعوةالمعاصرة من منظور قرآني؟ وهناك مجالات تعمل قوى العولمة من أجل التأثير؛ وكيف يمكن نرسم خطط دعوية محكمة للدعاة المعاصرين تكون عونا لهم في تخطي عقبات الدعوة ومعالجة عوائقها أمام عصر العولمة، وذلك في ضوء القرآن الكريم؟

إن القرآن رسم السياسات اللازمة يمكن للداعية الاستفادة منها للتعامل مع هذه الظاهرة، تفاديا الكثير من الآثار الخطيرة السلبية للعولمة. فالقرآن رسّم خطط استرتيجية للدعاة المعاصرين تكون عونا لهم في تخطي العقبات والتغلب على معوقات الدعوة في عصر العولمة. فتماشيا مع متطلبات هذا العصر وتحدياته التي تواجه الداعية على أصعدة كثيرة، تأتي هذه الورقة (المقالة) بعنوان: (أسس ونماذج قرآنية في ثبات الداعية وضعفه من منظور قرآني رؤية فى عصر العولمة)، لإعطاء نظرة شاملة ودقيقة عن كيفية الثبات من منظور قرآني في عصر العولمة، رجاء أن تكون هذه الورقة نافعة، وأن تكون عوناً للدعاة في سلوك طريق الدعوة في عصر طغيان العولمة على كل الميادين، جعلا للقرآن شفاء شاملا لحل كل الأزمات والمعوقات التي تحول بين الداعية والدعوة في عصر العولمة.

المبحث الأول: أسس قرآنية في الضعف والثبات:

يمر الإنسان المسلم في مسيرة حياته بالكثير من الصعاب والقلاقل والمشاكل التي في كثير من الأحيان ينوء بحملها، ويشعر بنكد الحياة، لكن هذه المتاعب في عين الداعية إلى الله لها بريق آخر، فهو يرى في المحنة منحة، يختبر الله بها إيمانه، ومنحة في أن كل أمور المؤمن كله له خير فهي طريقه للصبر والثبات وعدم الكلل والملل لنيل البشرى التي ثبتت لمن صبر وثبت عليها واحتسب، ويحاول الباحث في هذا الفصل تجلية وبيان الأسباب التي تقوي عزيمة الداعية؛ ليثبت



عليها، والأسباب التي تقف أمامه وتضعفه ليجتنبها ويتيقن أن كل دعوة لابد لها من شدائد ولابد لحامليها من صبر وثبات، وأن الإنسان في هذه الحياة- وخاصة الذي يريد أن تثبت الأمة على مبادئها- يحتاج إلى أمور تعينه ليثبت على هذه المهمة مهمة الأنبياء والمرسلين ومن سار على دربهم واقتفى آثارهم.

كما أن من زكاة النفس ومن تزكيتها ومن صفاء القلوب وانشراح الصدور، الاستقامة والثبات على الطاعات، فالمسلم الحق بحاجة إلى أن يستمسك بمبادئ الإسلام وثوابته ومنهجه، وبتعاليم الشريعة الإسلامية، فأحوج ما يحتاجه المسلمون: الاستقامة والثبات في عصر انتشار الشبهات التي شككت كثيرًا من الناس في منهجهم، وحالت دون استمساكهم بمبادئهم التي جاء بها شرع الله سبحانه وتعالى، وأعظم ما يعتز به المؤمنون، أن يكونوا مستقيمين ثابتين على ما جاءهم به الشرع المطهر من الأخلاق والسلوك في العبادات والمعاملاتوالتعليل ليكونا من الأسفلين توطئة لاستجابة الله تعالى لهم أن يريهموهما لأنهم علموا من غضب الله عليهم أنه أشدّ غضبا على الفريقين المضلين فتوسلوا بعزمهم على الانتقام منهم إلى تيسير تمكينهم من الانتقام منهم. والأسفلون الذين هم أشد حقارة من حقارة هؤلاء الذين كفروا، أي ليكونوا أحقر منا جزاء لهم، فالسفالة مستعارة للإهانة والحقارة".[1]

فالاستقامة والثبات على هذه المبادئ العظيمة والمنهج القويم في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام مهما كثرت العلوم الدنيوية وأصبحت ثورات علمية متتابعة، ومع ذلك لا تقوى أن تغير تعاليم الإسلام، مهما كثرت الصناعات والتطورات والاكتشافات، فإنها لا تقوى أن تغير العقيدة الراسخة التي مات عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربّى عليها أمته في حياته الشريفة، إنها عقيدة التوحيد الخالصة لله سبحانه والاتباع الصادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم،

فالواجب على الداعية أن يؤدي ما عليه من تبليغ دعوة الله، فاليأخذ بالأسباب المادية، ويضع خطط وبرامج استراتيجية، والله قد كفل القبول والعالمية.

أما ما يرد إليه من علوم وثقافات وافدة فإن فيها حقًّا وخيرا، وهذا يقبل ممن جاء به، كما أن فيها باطلاً وشراً، يرد على من جاء به، والمطلوب أن لا يخضع شريعة الله ويلويها حتى توافق ما وفد، وإنما يحكمها فيما يرد، ويرضى

[1] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.(1984هـ). التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية، 283/24.
[2] ناصر بن سلميان العمر.(1324هـ). رسالة مسلم في حقبة العولمة، الدوحة: مركز الدراسات الإسلامية..



بحكمها، ثم لا يجد حرجا فيما قضت، ويوقن بأنه الخير والحق. وهذه الأمور قد تساعد الداعية في ثوابته أمام ظاهرة العولمة.[2]

ومما تجدر الإشار إليه في هذا الصدد هو أن الداعية عليه أن يأخذ ما هو صحيح ومعين مما جاء في هذا العصر المتمثل في عصر العولمة، فلا يعتبر كل ما جاء فيه رجس من عمل شيطان.

فالقرآن الكريم رسّم رؤية ونظرية، وخطط استراتيجية المتمثلة بالأسباب الثبات على الدين الحق، الاستقامة على ما علم منه بالعمل به بالتقرب إلى الله تعالى بأداء ما افترض الله عليه، والبعد عما نهاه الله عنه وترك الركون إلى الظالمين والفاسقين وترك ما اشتبه عليه حكمه والاستكثار من النوافل، والتوبة إلى الله تعالى من الخطيئة، واتباع السيئات بالحسنات، كما قال تعالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)(هود:112– 115).

ومن أعظم النظريات القرآنية التي تساعد للثبات على الدين الحق الإلحاح على الله تعالى بالدعاء، مع الضراعة طلباً للثبات عليه، والعصمة من الزيغ عنه، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله تعالى، كما قال تعالى: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) (إبراهيم:27). نقل الطبري حديث البخاري بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)[3].

وأخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يقولون: (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)(آل عمران: 8).

---

[3] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر.(1420 هـ / 2000م). جامع البيان في تأويل القرآن، .بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1. 449/4



ومما جاء به القرآن نظريةً في موجبات الثبات على الحق والهدى هو مجالسة أهل الإيمان والتقوى قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)(الكهف:28).

ومن أسباب الثبات على الدين الحق الإعراض والفرار عن مجالس الخصومات والجدل في الدين، والنأي عن الفتّاتين، كما قال تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(الأنعام:68).وقال تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا)(النساء:140).

وفي آونة الأخيرة [4]حاول بعض الدعاة الإسلاميين الثابتين أمام العولمة، والمؤسسات الإسلامية؛ أن يتبنوا خطاباً وسطياً في العلاقة مع الآخر، وتقريب المذاهب الإسلامية للعمل على صون الهوية الإسلامية، وينطلق هؤلاء من مبدأ ثابت مفاده أنَّ الإسلام دين وسط وتكامل في نفسه، ومتميز في تعامله مع الآخر، وذلك حسب رؤ ية المنتدى العالمي للوسطية بالأردن، والتي تهدف إلى جعل منبراً للعلماء والمفكرين ؛ ليسهموا في تعزيز مفهوم الوسطية ؛الإسلامية وتنفيذِه على صعيد الواقع بشكل مواكب يجعل الرسالة الإسلامية خالدة، ويكون للمنتدى دور مهم في تقليل الفجوة بين العالم الإسلامي والغرب، وتشجيع التواصل والحوار بين مختلف المذاهب الفكرية في العالم الإسلامي. وفي نفس الوقت هناك تحديات جمة تواجه هؤلاء الدعاة الثابتين، ومن جملة التحديات التي تواجههم جعل الدعوة الوسطية رد فعلٍ لسلوكيات بعض تلك التيارات المعادية للغرب كلياً.

[4]شوك أحمد إبراهيم أبو شوك.(4 – 5 ذو الحجة / 1432هـ الموافق 20 – 21/ 10 2012م). الهوية الإسلامية والعولمة الوضعية جدلية الثابت والمتغير، مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، "المجتمع المسلم ... الثوابت والمتغيرات" نظمته رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة.

[5]القرضاوي، يوسف.(1416هـ / 1996م). ثقافة الداعية، القاهرة: مكتبة وهبة، ط10. ص4.



بناء على كون الإسلام بالنسبة للعامة في أوروبا؛ نوعاً من الأخبار المفزعة، و ظهر أنَّ الأكاديميين وسائل الإعلام، والحكومات، والاستراتيجيين، والخبراء أن الإسلامية غم ضحالتهم في الثقافة، ويرون أن الإسلان خطر على الحضارة الغربية، وأن صورة الإسلام في الإعلام الغربي المقروء والمسموع؛ والمرئي أن يقى الإسلام في صورة واحدة لا تتغير؛ ولذلك يسعى الدعاة جاهدين في إرسال الصورة صحيحة للإسلام إلى الغرب، وأن الإسلام دين وسط لا يعادي الشعوب أساساً، وأن دين سلام وأمان، ورحمة وسماحة.

وقال القرضاوي: "وهذه يجعل العناية بتكوين الدعاة، وإعدادهم الإعداد المتكامل، أمراً بالغ الأهمية، وإلا أصيبت المشروعات الدعوة بالخيبة والإخفاق، وفي الداخل والخارج، لأن شرطها الأول لم يتحقق، وهو الداعية المهيأ لحمل الرسالة. ومن هنا كان لا بد للداعية يريد أن ينتصر في معركته على الجهل والهوى والتسلط والفساد أن يتسلح بأسلحة شتى لازمة له في الدفاع والهجوم. وأول هذه الأسلحة ولا ريب هو سلاح الإيمان..."[5]

الثبات عامل مهم في أثر الذي يتركه الإنسان في هذه الحياة، وهو الموصول إلى ما يريده المرء ويطلبه، يجدر بكل عظيم من العظماء، وصفي من الأصفياء من جند الله تعالى المقربين، ومن الدعاة العاملين أن يكون ثابتاً شامخاً راسخاً، لا يتزلزل ولا يتقلب، والأمثلة هذا عظيمة كثيرة.[6]

قال القرضاوي: "القرآن الكريم هو المصدر الأول للإسلام، وكل تعاليم الإسلام يجب أن ترجع في أصولها إلى القرآن، العقائد المفاهيم والقيم، والعبادات والشعائر والأخلاق والآداب، والقونين والشرائع، وكل هذه قد وضع القرآن أسسها، وأرسى دعائمها.

وينبغى للداعية أن يحفظ القرآن قدر ما يستطيع، بل يحسن للداعية أن يحفظ القرآن كله ويسنظهره، فالقرآن ذخيرة لا تنفد، ومعين لا ينضب لامداد الدعاء"[7]

---

[6] محمد موسى الشريف.(1429هـ / 2008م). الثبات، القاهرة: درا الأندلس، ط1. ص 8 – 9.

[7] القرضاوي، يوسف. ثقافة الداعية، ص8.



إن كتاب الله – القرآن الكريم – المنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الإعجاز والتعبد هو وسيلة الثبات الأولى، وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم قال تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى)(طه: 123 – 125).

كما أن تلك الآيات تتنزل برداً وسلاماً على قلب المؤمن فلا تعصف به رياح الفتنة، ويكون قلبه دائمًا وأبدًا مطمئنًا بذكر الله تعالى.

وكذلك أن كتاب الله هو الذي يزود المسلم بالتصورات والقيم الصحيحة التي يستطيع من خلالها أن يُقوِّم الأوضاع من حوله، ويمنحه – كذلك – الموازين التي تهيئ له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه، ولا تتناقض أقواله باختلاف الأحداث والأشخاص.

وكذلك أن القرآن يمد المؤمن قوة في الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين كالأمثلة الحية التي عاشها الصدر الأول.

ومن هنا ندرك الفرق بين الذين ربطوا حياتهم بالقرآن، وأقبلوا عليه تلاوة وحفظاً وتفسيراً وتدبراً واستنباطًا، منه ينطلقون، وإليه يفيئون، وبين من قدسوا كلام البشر وجعلوه نصب أعينهم، فمنه يتشربون منهج حياتهم.

لزاماً على الداعية أن لا يتقاعس في تبليغ دعوة الله، ويلهه الأمل، ويغرق في الأمور المادية، ويتغافل عن رسم خطط استراتيجية في أمور دعوته. وعليه الأخذ بكل ما يرد إليه من علوم وثقافات وافدة، ويجب عليه أن يعلم أن في تلك الثقافات الوافدة فيها خيراً وحقاً، وأن فيها شراً وباطلاً لكن ذلك لا يمنه من الاستفادة بما جاء به عصر العولمة من الماديات التي توافق الشرع.

وفي منظور قرآني فمعظم الأشياء التي تجعل الإنسان أن يكون ضعيفاً في ثباته، صحبة أقران السوء، وهي الصحبة العارية من هذا الخُلق الإسلامي، وقد يعيش المرء في وسط غير ملتزم بهذا الخلق الإسلامي، فإذا به يحاكي ويتأسى لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية، غير واثق من نفسه، ومن تصرفاته وسلوكه، وهنا يأتي دور الارتماء بين أحضان



الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامي، إنّ هذا لو وقع، لتنبّهت المشاعر والأحاسيس، والجوارح، ولثبت المرء وما زلّت قدمه عن الحق، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (الزخرف:67). قال:"خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فتوفي أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله، فقال: اللّهم إن فلانا خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وترضى عنه كما رضيت عني، فيقال له اذهب فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيرا وبكيت قليلا، قال: ثم يموت الآخر، فتجتمع أرواحهما، فيقال ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الأخ ونعم الصاحب ونعم الخليل، وإذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار، ذكر خليله، فيقول: اللهمّ إنّ خليلي فلانا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، اللهمّ فلا تهده بعدي حتّى تريه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت علي قال: فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما، فيقال ليثن أحدكما على صاحبه...".[8]

للصحبة تأثير حتى على الداعية، وخاصة في مجال الدعوة، حيث يوجد بعض الدعاة المنحرفين قد يُأثروا في الداعية الثابت في دينه وعقيدته وسلوكه الدعوي، سواء في زمن العولمة أو غيرها، ويكون ذلك نتيجة صحبته لهم في مجال الدعوة.

فالقرآن ينظر إلى الغفلة وشدتها، أو النسيان وشدتها من الأشياء التي قد تؤدي الإنسان إلى عدم استقرار ثباته. وقد تؤدي الغفلة، أو النسيان إلى عدم الثبات، وحينئذ يجب أن يتعلم من ذلك درسًا لا ينساه على مدار الزمان فلا يتكرر منه هذا الخطأ.

يقول ابن القيم: "فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه، وصداه بحسب غفلته، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنّه لما تراكم عليه

---

[8]ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي.(1420هـ / 1999م). تفسير القرآن العظيم، الرياض: دار طيبة، ط2، 238/7.



الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه فإذا تراكم عليه الصدأ واسودَّ وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلا"[9].

قال تعالى في الغفلة: (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ)(الأنبياء:97). وقال: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)(مريم:39).أي:

أنذر الخلائق يوم الحسرة، (إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ) أي: فصل بين أهل الجنة وأهل النار، ودَخل كل إلى ما صار إليه مخلدًا فيه، (وَهُمْ) أي: اليوم (غَفْلَةٍ)عما أنذروا به (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)أي: لا يُصَدقون به10.

وقال في النسيان: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا)(الكهف:57) وقَالَ تعالى: (قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى)(طه:126). وقال تعالى:(وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (الجاثية:34).أي: نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار (كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَ)اأي: فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به، (وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)11

يقول ابن تيمية: "بنسيانه لربه تعالى ولما أنزله، قال تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)، وقال تعالى في حق المنافقين: (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)

وقوله:وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)، يقتضي أن نسيان الله كان سبباً لنسيانهم أنفسهم، وأنهم لما نسوا الله عاقبهم بأن أنساهم أنفسهم".[12]

---

[9] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله.(1405هـ). الوابل الصيب، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، ص56.
[10] ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، 233/5.
[11] المرجع السابق، 11272./7



وصدق رسولنا عليه الصلاة والسلام بقوله: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)).[13]

وعلاج الغفلة والنسيان دوام التذكير، وذكر الله عز وجل، قال تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا)(الكهف:23-24) وقال تعالى:(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)(الذاريات:55). وقال تعالى:(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ)(الأعلى:9)

إن الإعجاب بالناس من الأشياء التي ذمها القرآن، وينظرها نظرة قبيحة لا تليق بسلم مؤمن قوي فضلاً عن الداعية إلى الله تبارك وتعالى.

وكم من معجب بنفسه لم يجتهد في تزكيتها، وأهمل تربيتها ومحاسبتها، ولم يتزود لوعورة الطريق وآلامها، فانهار وضعف مع أول محنة أو شدة لاقته، والذي يطرد خاطر العجب: مجاهدة النفس، وإلزامها التواضع، وإلجامها عن الغرور والعجب، واستخراج حظ الشيطان منها، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)(العنكبوت:69). وقال أيضا: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(التوبة الآية:16). وأن يعلم أنّ الأعمال بالخواتيم، وليس بواقع الحال ذلك؛ فإذا كان كذلك لم يغتر بظاهر صلاح حاله، وظل مستيقظًا حذراً، قال تعالى في المنافقين: (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ)(الحديد:14).

يقول ابن القيم: "لما كان العمل بآخره وخاتمته، لم يصبر هذا العامل على عمله حتى يتمّ له، بل كان فيه آفّة كامنة ونكتة خذل بها في آخر عمره، فخانته تلك الآفة، والداهية الباطنة في وقت الحاجة، فرجع إلى موجبها، وعملت عملها، ولو لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه".[14]

---

[12]ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.(1426هـ / 2005م). مجموع الفتاوى، دار الوفاء، ط3، 348/16.

[13]الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى. (1998م). السنن، بيروت: دار الغرب الإسلامي، رقم الحديث (2499). 659/4. 14



المبحث الثاني: نماذج قرآنية في الضعف والثبات:

إن ثبات الداعية على مبدئه، هو انتصار باهر، وفوز ساحق، حيث يعلو على الشهوات والشبهات، ويجتاز العقبات بشجاعة وثبات، بل إنه لا يمكن أن يتحقق الانتصار الظاهر إلا بعد تحقق هذا الانتصار، فمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يتلقى الأذى لكنه في قمة الانتصار.[15]وقال- جل وعلا-: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)(الحجر:94،95).

قال الإمام الطبري في معنى هذه الآية: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنا كفيناك المستهزئين يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئا سوى الله، فإن الله كافيك من ناصبك وآذاك كما كفاك المستهزئين، وكان رؤساء المستهزئين قوما من قريش معروفين"[16]

قال تعالى في شأن الثبات وضعفه: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) (آل عمران:139-142). يعني الغالبين على الأعداء بعد أحد وفي كل عسكر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عسكر كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: لا تضعفوا ولا تجبنوا يا أصحاب محمد عن جهاد أعدائكم لما أصابكم، ولا تحزنوا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة في أحد، أي: فلكم النصر في العاقبة، فإن الإيمان يوجب قوة القلب ومزيد الثقة بالله وعدم المبالاة بأعدائه[17].

---

[14]ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. (1393 / 1973). الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 163/1.

[15]علي بن نايف الشحود. (1433 هـ / 2012م). بحوث ومقالات حول الثورة السورية، نصائح وتوجيهات على الطريق، من 15/ 2011/3 م- حتى 14/ 2012/1م/ ط.1.

[16]الطبري.جامع البيان، 14/ 145.



فقد طالب الله المؤمنين أن يدعوا الحزن والوهن والضعف، فهم الأعلون طالما أنهم مؤمنون ثابتون، ومن جهة ثانية استنهاض للهمم التي فترت، والنفوس التي حزنت لتتجاوز حزنها، وتتعالى على مصيبتها، وتمضي قدمًا في تحقيق الهدف، وأن من حكمة الله تعالى أنه قد قضى أن تكون الحرب سجالا بين الناس وأن المسلمين لا يمكن أن يكونوا دائما منتصرين، بل لا بد أن تدور الدائرة عليهم في بعض حروبهم مع العدو؛ ليتخذ الله منهم شهداء، إيمانهم كي يعلم الصادقين الثابتين.

والحكمة من قرح المؤمنين وتداول الأيام بين المؤمنين والكافرين، ليس هوان المؤمنين على الله بل تمحيصهم ليعرف الصادق من المنافق، والهدف الآخر "ويتخذ منكم شهداء" فهو يصطفيهم لأنه يحبهم، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأن الله تعالى اطلع على المؤمنين، فأحب أن يتخذويختار ويصطفي منهم هؤلاء السبعين.[18]

يقول فخر الدين الرازي: "واعلم أنه ليس المراد من هذه المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين وذلك لأن نصرة الله منصب شريف وإعزاز عظيم، فلا يليق بالكافر، بل المراد من هذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين والحكمةمن ذلك، أنه تعالى لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الاضطراري بأن الايمان حق وما سواه باطل، ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا تارة يسلط الله المحنة على أهل الايمان، وأخرى على أهل الكفر، وأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي، فيكون عند الله تشديد المحنة عليه في الدنيا أدباً له.[19]

---

[17]القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. (1423 هـ/ 2003م). الجامع الأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب، 4/ 139-140.

[18]الغضبان منير محمد. (1991م) المنهج التربوي للسيرة النبوية، الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، ط1، 1/ 127-19130

[19]الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب. (1420هـ). مفاتيح 19 الغيب "التفسير الكبير"، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 9/ 13-14.



ثم لفت نظرهم إلى أنهم ليسوا أول عسكر مؤمن تعرضوا للبلايا والمحن وزعزعة الثوابت، مع أن نبيهم بينهم، فإن كثيرًا من النبيين الذين خلوا قد تعرضوا مع جندهم لكثير من النكبات والمصائب في المعارك التي خاضوها، ولكنهم لم يضعفوا بل ثبتوا وقاتلوا مع أنبيائهم، ولم يستكينوا ولم يهنوا لما أصاب مجموعهم من الجرح والقتل، قال تعالى: (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)(آل عمران:146) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي لا بد أن يعقد شيئًا من المحنة ويظهر فيه وليه، ويفضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، يعني بذلك: يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهتك به أستار المنافقين، فظهرت مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم"[20]

كانت حياة موسى – عليه السلام– عبارة سلسلة مرتبطة الحلقات من الآلام والمحن والابتلاءات وامتحانا في ثوابته، وزاد حياته بلاءً تعرضه لنقمة فرعون وملائه من جهة، ولإيذاء قومه مكائدهم من جهة أخرى.فبعد مرور موسى بالواد المقدس، أراه الله بعض معجزاته، فهذه عصاه يلقيها على الأرض فتنقلب حية تتلوى وتهتز وتتحرك، وتلقي الرعب في قلوب الناظرين، وهذه يده يضمها إلى جيبه ثم يخرجها فتظهر بيضاء متلألئة لها بياض حسن، وبهاء جميل، ثم طلب الله منه أن يذهب بهاتين المعجزتين إلى فرعون؛ لتبليغه الرسالة الإلهية فقد جاوز الحد في الطغيان، فطلب من ربه أن يشرح صدره ليتحمل ما يواجهه من صعاب، لهداية قومه إلى الصراط المستقيم، ويسهل عليه الأمر، ويعينه على البيان والإفصاح وأن يجعل أخاه هارون مساعدًا له في رسالته، ومهامه الشاقة، فأجاب الله دعاءه وأعطاه كل ما سأل، وأمره أن يذهب إلى فرعون مؤيّداً بالآيات والمعجزات.

وبيّن الله لموسى وهارون الخطة التي ينبغي أن يسيرا عليها في مخاطبة فرعون وهي اتباع الرفق واللين، والأساليب الهادئة التي يمكن الوصول بها إلى الغاية والنجاح، فقال موسى وهارون: (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى)(طه:45). أي: إنّا نخاف أن يبطش بنا عند مواجهته بالدعوة، هنالك ثبّتهما الله تبارك وتعالى بقوله: (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا)(طه:46) وزادهما طمأنينة بقوله: (أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه:46). ثم أمرهما الله تعالى أن يقولا له: إنّنا رسولا رب العالمين وما أنت إلا عبد من عبيده، فامتثل موسى وهارون لأمر الله وذهبا إلى فرعون، وبلغا الرسالة، ثم أظهر

[20]ابن كثير. تفسير القرآن الكريم، 2/.20165



موسى عليه السلام برهان رسالته وأراه آيتي العصا واليد البيضاء، فكذب فرعون بالدعوة، وأعرض عن اتباع الحق، واتهم موسى عليه السلام بالسحر والجنون. قال تعالى مخبرًا ما حدث بين موسى وفرعون: (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)(طه:42 – 47). يعني: بما أعطاهما من المعجزة (وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)لا تفترا، (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا)كنياه وعداه على الإيمان نعيما وعمرا طويلا في صحة ومصيرا إلى الجنة (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ)يتعظ (أَوْ يَخْشَى)يخاف الله تعالى ومعنى (لعل) ها هنا يعود إلى حال موسى وهارون أي: اذهبا أنتما على رجائكما وطعمكما وقد علم الله تعالى ما يكون منه.(قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا)يجعل علينا بالقتل والعقوبة (أَوْ أَنْ يَطْغَى)يتكبر ويستعصي. (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا)بالعون والنصرة (أَسْمَعُ) ما يقول، (وَأَرَى)ما يفعل وقوله: (فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)أي: خل عنهم ولا تستخرهم (وَلَا تُعَذِّبْهُمْ)ولا تتعبهم في العمل (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ)يعني: اليد البيضاء والعصا (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى)سلم من أسلم (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ)أنبياء الله (وَتَوَلَّى)أعرض عن الإيمان وقوله: (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَقَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)أي: أتقن كل شيء مما خلق وخلقه على الهيئة التي بها ينتفع والتي هي أصلح وأحكم لما يراد منه (ثُمَّ هَدَى)أي: هداه لمعيشته.[21]

لقي المسيح عليه السلام من اليهود تعنتاً واستكباراً، ولاقى أثناء دعوته أهوالاً وشدائد، وخاصة من الكهنة ورؤساء الدين، فاصطدم معهم بجدال عنيف حول مفاهيم الدين وأصول الشريعة الربانية، التي جاء بها من قبله موسى عليه السلام التي حرفها أولئك الظالمون المجرمون، فكان يحاجّ الفريسيين والكتبة والكهنة، فيدحضهم بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة... ولبث عيسى عليه السلام يجاهر بدعوته، ويجادل المنحرفين، من كهنة وكتبه وفريسيين، ويدلهم على الله، ويأمرهم بالاستقامة، ويبين فساد طريقتهم، ويفضح رياءهم وخبثهم حتى ضاقوا به ذرعاً، فقرروا التخلص منه، فبادروا بتكذيب دعوته، والكفر به، وجحود نبوته، واتهموه بالكذب والشعوذة، وزعموا أن ما جاء به من المعجزات ما هو إلا سحر، وبعد ذلك اجتمع عظماء اليهود وأحبارهم وتشاوروا في أمر المسيح فقالوا: إنا نخاف أن يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس فقال لهم رئيس الكهنة: "لئن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره.

[21] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي.(1415هـ). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دمشق و بيروت: دار القلم، الدار الشامية ط:1، 696/1.



فأجمع قومه على قتله فسعوا به لدى حاكم الرومان والذي في ذلك الزمان كان حاكماً على اليهود باسم الملك ((قيصر)) وزينوا له دعواهم بأنه يريد أن يكون ملكاً على اليهود، وأنه يسعى لتفويض دعائم الحكم القائم، وأوغروا صدره حتى قرر أن يتخلص من عيسى عليه السلام بالقتل والصلب. فلمّا أحس عيسى عليه السلام منهم إصرار قومه على الكفر، وأدرك منهم الغدر والتدبير لقتله، دعا دعوته من أنصاري إلى الله؟ من أنصاري إلى دين الله، ودعوته، ونظامه، وتبليغ شريعته؟ هنالك بادر الحواريون، وهم أصحاب عيسى عليه السلام الذين آمنوا به ولازموه فقالوا: نحن أنصار الله، ننصر دين الله، وننهض معك، ونحمل الدعوة، ونفديها دونها، ونبلغها للناس كما ينبغي علينا أن نفعل ونقوم بعدك عليها، ثم أشهدوه على إسلامهم وانتدابهم لنصرة دين الله ورسوله، كما أشهدوا ربهم على ما هم عليه من تصديقهم بالدعوة واتباع الرسول، وتوجهوا إليه سبحانه أن يجعلهم مع الذين يشهدون له تعالى بالوحدانية، ولرسالة والصدق والتبليغ. وكان إبراهيم عليه السلام في إيمانه قويا ثابتًا، لم يتزعزع ولم يضطرب، ولم يدخل إليه وهن أو ضعف، ولعل أشد هذه المحن عليه كان حين أمر بذبح ابنه، ولكنه كان عبدًا شكورا، طائعًا لله تعالى مذعنًا لأوامر ربه، ومن ثم جعله الله عز وجل أمة بمفرده، قال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)(النحل:120-122).

فإبراهيم، عليه السلام، وهو يلقى في النار كان في قمة انتصار، (قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ)(الصافات:97-). وقال الطبري في قوله -تعالى-: (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) أي فجعلنا قوم إبراهيم الأذلين حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة. (تفسير الطبري 23/ 75.). كذلك نجد هذا المعنى في قوله – تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ}(الأنعام:83). والرفع هو الانتصار.

وكذلك في سورة البقرة بعد أن ذكر الله محاجة الذي كفر لإبراهيم في ربه، قال الله -تعالى- {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}(البقرة،:258). والبهت هو الهزيمة، أي انهزم الكافر وانتصر إبراهيم بالحجة والبرهان. قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين)(البقرة:124). يعني جل ثناؤه بقوله: (وَإِذِ ابْتَلَى) وإذا اختبر، يقال منه: ابتليت فلانا أبتليه ابتلاء.

من نماذج الابتلاء بالطاعة والثبات، والصبر على تكميل النفس، وعلى طاعة الله تعالى فيما أمر مهما يكن وراء أمره سبحانه من مخاطر وتضحيات – من هذا اللون–، ابتلاء إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل، حيث كان ولده البكر وابنه الوحيد.



فلما شب إسماعيل عليه السلام وأطاق السعي والعمل، رأى والده الخليل عليه السلام في المنام أنه يذبحه، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رؤيا الأنبياء وحي)).[22] ففهم الإشارة، وعرف المراد، فعزم على تنفيذ أمر الله تعالى، ولم يثنه عن عزمه أنه ابنه الذى لا ابن له سواه في ذلك الحين. فتنة إثر فتنة، ومحنة تتلوها محنة: شيخ هرم، جالد الأيام، وعرك الدهر، واحنته السنون، قد كان طول حياته يأمل الولد، حتى إذا بلغ من الكبر عتيا، رزقه الله بغلام وحيد: قرت به عليه، وأشرقت له نفسه، ثم أمر بأن يسكنه بواد غير ذي زرع، ويتركه وأمه في مكان قفر، ليس به حشيش ولا أنيس، وامتثل لأمر الله، وتركهما هناك ثقة بالله، وإيمانا به، وإطاعة لأمره، يجعل الله لهما من ضيقهما فرجاً ومخرجاً، ورزقهما من حيث لم يحتسبا، ثم يوؤمر بذبح الولد العزيز، الذي هو بكره ووحيده!

إن هذه المحنة تنوء بها الجبال الراسيات، ولكن العظائم كفوها العظماء فعلا قدر إبراهيم، وعلت منزلته، وعلا مقدار ثبات يقينه، وكمال إيمانه يكون ابتلاؤه واختباره"[23]، قال تعالى:

(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآَخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَوَآَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآَخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)(الصافات: 101 – 111).

---

[22] زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي. (1417 هـ / 1996م). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ط1. 2 /411.

[23] محمد أحمد جاد المولى.قصص الأنبياء، القاهرة: مكتبة المدينة، ص 52.



وفي قوله:(قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات:102). توقير وبر عظيم بوالده، وتوفيق من الله كبير، وإيمان وثيق، ونفس راضية بما قضى الله وقدر. وهنا تبدو عظمة التضحية والطاعة والإستسلام لله والرضا واليقين.

إنها العبودية لله تعالى على أكمل صورها من الأب والابن معاً، الأب يصمم على تنفيذ أمر ربه، والابن يبادر بالطاعة، ويكون عونا على تنفيذ أمر الله، ويحض والده على تنفيذ الأمر بقوله: (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) ناسيًا لذاته، كأن الأمر لا علاقة له برقبته وإنهاء حياته، ويظهر ذلك في قوله: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)، إنه لا يدعى بطولة ولا شجاعة بل يوكل لأمر إلى الله تعالى، ويستند في صبره إلى إذنه ومشيئته.

هذا استسلام لقضاء الله عز وجل، أسلم الوالد وولده، أسلم الولد عنقه، وصرعه أبوه للجبين، وتهيأ للذبح بالسكين، وهكذا كان الابتلاء قد وصل غايته وحقق ثمرته، لقد نجح إبراهيم عليه السلام فى الامتحان، ونفذ أمر الله تعالى دون تردد أو ارتياب، عندئذ جاء النداء الإلهي: يا إبراهيم، كف عن ذبح ابنك، فقد حصل المقصود من اختبارك، وقمت بالواجب، ولم تخالف أمر ربك، فكنت من الفائزين، فخذ هذا الكبش واذبحه فداء لابنك.

فعند ذلك نودي من الله عز وجل: (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)(الصافات:10). أي: قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك، ومبادرك إلى أمر ربك، وبذلت ولدك للقربان كما سمحت ببدنك للنيران، وكما مالك مبذول للضيفان، ولهذا قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ)، أي: لاختبار الظاهر البين، وقوله: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)، أي: جعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أملح أقرن.

وقوله تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)(الصافات: 103-107).

إن استسلام إبراهيم وإسماعيل لأمر الله تعالى والرضا يأمره بقضائه، من أرفع صور الإيمان وأجلها في تاريخ الإنسانية، فليس الإيمان إدّعاءات تلوكها الألسن، وليس الإيمان تسلية للأحزان لفترة ما، وليس الإيمان نظرية من النظريات يغوص العقل في كشف خفاياها بل الإيمان هو الاندماج الكلي في إرادة الله التي تذكره في العمل بوصاياه وأوامره، والتضحية بكل غال ونفيس فى سبيله.



وقوله تعالى: (إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (الصافات:80) أي: إنا كما عفونا عن ذبحه لولده بعد استبانة إخلاصه في عمله، حين أعد العدة، ولم تتغلب عليه عاطفة البنوة، فرضي بتنفيذ القضاء كذلك نجري كل محسن على طاعته، ونوفيه من الجزاء ما هو له أهل، وبمثله جدير.

الخاتمة:

فالقرآن الكريم شفاء لكل داء حسي أو معنوي، وللداعية الناجح أن يتمسك بالمعاصرة والأصالة الحاضر مع المحافظة على الثوابت، ولا تكون فكرته جامدة إلى جانب واحد، فالدنيا تغيرت وتبدلت، لذلك لا بد من الجمع بين طراز الماضي والأصالة الحاضر، وخاصة في عصرنا هذه المتمثل بالعصر العولمة، فثبات ورسوخ قدميه في مجال الدعوة من دون الميل لدعاة العولمة وناصرين لها هو الذي يعود للأمة الإسلامية مجدها المؤثل الذي كاد أن يغيب مع أدراج رياح الأفكار التي تدعو إليها العولمة.

لكن، لا بد من وضع كل المفاهيم والمبادئ في ميزان القرآن، والميل الواجب إلى نظرته الشاملة، ومواكبته بما ينسجم مع الوقع الحاضر، وبه يستقر الثبات، والوصول إلى النجاح.

فاالقرآن صالح لكل زمان ومكان، وينسجم مع مستجدات العصر وتطورتها، وهو سلاح أصيل لمن أراد النجاح في حياة الدنيا والآخرة، فالله تبارك وتعالى أنزل القرآن ليكون مرجعاً أساسيا لبناء الحياة السعيدة المواكب مع كل العصور، وهو مرجعاً أصيلاً لكل داعية أراد الثبات والنجاح.

أهم النَّتائج: قد توصل البحث إلى أهم النتائج وهي كالتالى.

1 - توصل البحث إلى أن الحكمة من زعزعة ثبات المؤمنين ليس هوان المؤمنين على الله بل تمحيصهم ليعرف الصادق من المنافق.

2 الحكمة والهدف الآخر من زعزعة ثبات المؤمنين هو أن يتخذ الله منهم شهداء، فهو يصطفيهم لأنه يحبهم، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأن الله تعالى اطلع على المؤمنين، فأحب أن يتخذويختار ويصطفي منهم .

3 - ومن الوسائل المعينة التي قدمها القرآن لثبات الداعية هو الاطلاع على النماذج التي قدمها القرآن في الثبات وضعفه، وهي معينة للبقاء على قيد الثبات وتقويته، ولا سيما في هذا العصر المتمثل بالعصر العولمة.



4 – إن القرآن خير مرجع للرجوع في حال نشوب الفتن وكثرة الملاهي والزواهي التي تأتي بها رياح العولمة، فالدراسات القرآنية فصّلت كل شيء يتعلق بالماضي والحاضر، وعلى الداعية الحرص على الاهتمام في الخطاب القرآن الذي يتجدد مع كل عصر وزمان.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم. برواية حفص عن عاصم، (1426هـ). مطبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. (1426هـ / 2005م). مجموع الفتاوى، دار الوفاء، ط3.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله. (1405هـ). الوابل الصيب، بيروت: دار الكتاب العربي، ط1.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله.(1393 / 1973). الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي. (1420هـ / 1999م). تفسير القرآن العظيم، الرياض: دار طيبة، ط2.

الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى.(1998م). السنن، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

حمد موسى الشريف. (1429هـ / 2008م). الثبات، القاهرة: درا الأندلس، ط1.

الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب. (1420هـ). مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3.

زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي. الحنبلي، (1417 هـ /1996م). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ط1.



الشحود، علي بن نايف. (1433 هـ / 2012م). بحوث ومقالات حول الثورة السورية، نصائح وتوجيهات على الطريق، من 15/ 2011/3 م- حتى 14/ 2012/1م/ ط.1.

شوك أحمد إبراهيم أبو شوك. (4 – 5 ذو الحجة / 1432هـ الموافق 20 – 21/ 10 2012م). الهوية الإسلامية والعولمة الوضعية جدلية الثابت والمتغير، مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر، "المجتمع المسلم ... الثوابت والمتغيرات" نظمته رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري. (1420 هـ – 2000م). جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1.

الغضبان، منير محمد. (1991م) المنهج التربوي للسيرة النبوية، الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، ط1.

القرضاوي، يوسف. (1416هـ / 1996م). ثقافة الداعية، القاهرة: مكتبة وهبة، ط10.

القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. (1423 هـ/ 2003م). الجامع الأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب.

محمد أحمد جاد المولى. قصص الأنبياء، القاهرة: مكتبة المدينة.

محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. (1984هـ). التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية.

ناصر بن سلميان العمر. (1324هـ). رسالة مسلم في حقبة العولمة، الدوحة: مركز الدراسات الإسلامية.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي. (1415هـ). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دمشق و بيروت: دار القلم، الدار الشامية ط:1.

